الطوفان .. وسر انتحار طيور القصب الأحمر

"صادق احمد"

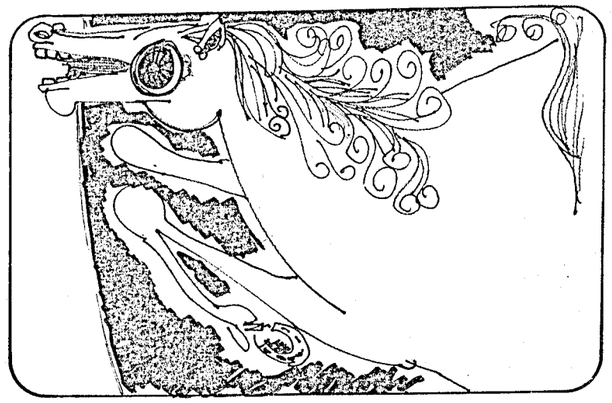

التاريخ الملني للطوفان

طلقات غادرة في الصدر وجسدك ينزف دما على قصبة جف ماؤها المالح .. يكبر الجرح ..والعيون توزعه بين البذرة ، وميلاد جذرها الحقيقي .. نحن الماء للماء .. وتبقى دائرة الموت ترسل نداءها كلما جف الماء عن الارض الشامخة (خيم سكون) ها انت وحدك تبكي .. تعود فتنمو بين شتلات القصب وتمحي وحدتك .. بدأ الظلام يحاصر الضوء والكلام ممسك عن النداء .. صرخة ولم اسمع صراخك لكن الاصغاء ردد (يا لوحدج شريفة ، وبيت الضيم بزمرها، وخطف العينين ، سحبة غيظ فوك الماي) (١) كانت نيازكا تتساقط .. كالندى ينهمر على جسدك وانت تهاجر .. الى اين يهاجر الطير بعد احتراق القصب الطري .. (هكذا تبدأ الرحلة) حينما دعوتني اسمع صوتك .. رسمت قناديل اضيئت للعريس الذي لم يصل .. عندها غمرتني فرحة ان اعرف اسرارك ، ومن الشبابيك الحديدية ..حملتني رؤية لاختراق القضبان المتماسكة .. كنت الجسد والسرير .. وحلم يترائى .. يحدق في .. كانت رصاصة تخرق جبينك .. حولتها الاحداث الى رغيف من الخبز نضج عند هطول المطر .. وبدأت اغني بصوتي وصوتك .. وحنجرتي وحنجرتك ..

وجسدي وجسدك .. وانتزعت سرا تغلغل بين عينيك .. الى اين انت مهاجر .. فالطيور تعيد بناء تاريخها .. وتبني اعشاشها بين ثنايا القصب وتنشر ظلها على الاوراق .. وها هي الطيور ترتفع تخترق الحصار وتعلن بدأ التواصل بالزمن المتواصل .. فجاة يفيض الهور من عينيك ليغسل الشمس والجرح

حصار مدينة القصب

في المدينة سيف حاد يوزع ضرباته بين الاجساد.. ايتها الحركة اقتربي نحو الكائن .. ايها الكائن اقترب للزمن الذي يصير نهارا زلزالا (هكذا كانت تعيش المدينة) وتنتظرك بيوت الفقراء .. تمد قصبها .. تجيء اليك .. وكنت تتقدم نحوها .. تركض وتتعالى الشهقات المتناثرة في جرح ينسل راكضا فوق النيران (فجاة تعم مدينة القصب حكاية الدماء ..) .. الدم يعانق زهرة البساتين الجنوبية .. طفل فاجا المدينة وهو يغرس زهورا في عيون القادمين .. كانت مدينتك حمراء .. والماء يقبل الحناجر .. والخبز ياتي حلما ينساب تحت الاجفان (ماذا كنت اذن) حيث دقت الساعة معلنة الصفر .. كنت باسطا كفيك نحو الماء .. تجوب اطراف بيوت القصب .. وتقرا للاطفال — كيف يمكن للمسافر ان يتحول الى وطن .. يحتضن الغرات .. ويقرا للغائبين حكايات عن المشاحيف التي منحت الموج مرآة للسفر .. تعبر امامه .. تحمل الموسيقى بين اكف الاطفال وتمضي — اه ايها الوجه الطيب — احييك عبر بيوت القصب ومجاريها الاسنة .. وبخطواتك الخفية الحذرة .. كنت تمتد كالجزر المتعانقة مع السماء .. ها انت تتلاشى .. ويبقى صوتك يفيض .. وانت تعلن بدء الخطوات التي لم تخط .. يدركها الزمن القادم .. وانت تخطو خطوتك الاخيرة تبدأ الارقام من التاريخ الاسود .. تجرح المدينة .. وتفقأ الارض .. وتهشم المصابيح لتدخلها في جسد الارض .. ايها الفارس اضرب قدماك في عروق المسافة .. وامشي خطواتك كما يسير الاطفال .. خطوة نحو الحب .. وخطوة نحو المنفى ..

خالد يغتسل الماء ويزرع القصب والمشاحيف

(انت يا من تقلد بافل اترك الحيلة وابقى في غربتك) (٢) تجيء من نقطة تقف فيها بين الشفرة والجرح .. وتستفجد بالمشاحيف القادمة وهي ترسم في رأسك نجمة تقرأ الجروح .. وتطلق شارانها.. افتح ذاكرتك جيدا .. انك تدخل التاريخ .. اتخذ من القصب غطاء لجسدك .. ها هي الشمس تحتضن (اسعيدة) (٣) لتحصد المسافات وتزرف دمعا. وانت تقصد الموت وسط النهر .. تلامس اصابعك الماء لترسم خط يستجيب للنداء .. يتكاثر الرجال تتكاثر البنادق .. اتذكر الان وانت تنظر بعينيك العميقتان .. تحدقان نحوي .. تمسك بملامحك من خلال (البرتو) (٤) وهي تتجه نحو الموت .. كانت الارض واسعة .. والقصب ينسال .. والماء يراقص اهتزازات السفن القادمة .. وتضحك المجاديف لاصدقاءها « الانصار » ..كنت تقول ابتعد عني كي اراك جيدا .. وقلت كلما سقط شهيد .. تكبر المدن .. ويفيض الهور .. ويطلع القصب من الجسد وحيدا خجولا من نظرات الفقراء .. امنحه يا نخلة الوطن .. المطر الصافي كي يغتسل جسده الناحل وثيابه الممزقة .. انهض تعمق بين شتلات القصب .. وداعب الاوراق لترسي السفن المحملة بالورد .. ايها التاريخ الذي لا يتجدد .. اين تكمن جمرة الفاجعة .. كانت الاكواخ ممتلئة بالجروح .. وكيف تكون الاقامة .. لتنشد اكثر الى اقواس الموت عندما يبدأ النهار خطواته .. يحرق الارض والاجساد المزروعة رصاصا .. بقيت وحدك تموت جفافا ستكون بعدها ونرا يعيد اصول التناغم ويربط الصرخات البعيدة عن الوطن — هكذا منذ البدء تقف بين المدينة وقصبها تلامس باهدابك سطح الهور وهي تلون القصب والماء .

الخاتمة

الاشياء التي ستندثر تعلن في بداية الطريق .. وفي بلاد تسمى الجرح ضربات وردية ربيعية ..امنح دمي لجسدها المجبول بتراب البارود .. تاخذني اليك الدائرة .. سمعت الاكواخ تهمس للقصب النائم على سقوفها — اية ملفات سرية وضعت على خشب النار .. تحمل اسماء .. واحداث ..الاقدام الحافية تحت الرصاص والمطر — ايها الحب المتفجر في كل مكان .. تزهر مناطق القصب الطري في توهج النهار .. هناك .. ولد الانسان يحمل مغامرة شاسعة ستلجا اليها يوما .. تمتطي الحلم وسبقان الزرق الصفراء اليابسة .

من مطبوعات
وزارة الاعلام
في
الجمهورية العراقية

يصدر قريبًا / في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث :
قمر شيراز
شعر الاستاذ عبد الوهاب البياتي

صدر عن وزارة الاعلام / سلسلة كتاب الجماهير - من اعلام البصرة:
سيبويه - هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه
تأليف د. صاحب ابو جناح

صدر عن وزارة الاعلام / سلسلة الكتب المترجمة :
رؤية شرقية
ترجمة عدنان بغجاتي

صدر عن وزارة الاعلام / سلسلة القصة والمسرحية :
بشر وارض وزمن
تأليف محمد روزنامجي